

الحضارة المصرية للأطفال (٨)



الطفولة والحياة الإجتماعية

فـــى مصـــر الفرعونيـــة

الحضـــارى

يوسف يونس نوفل

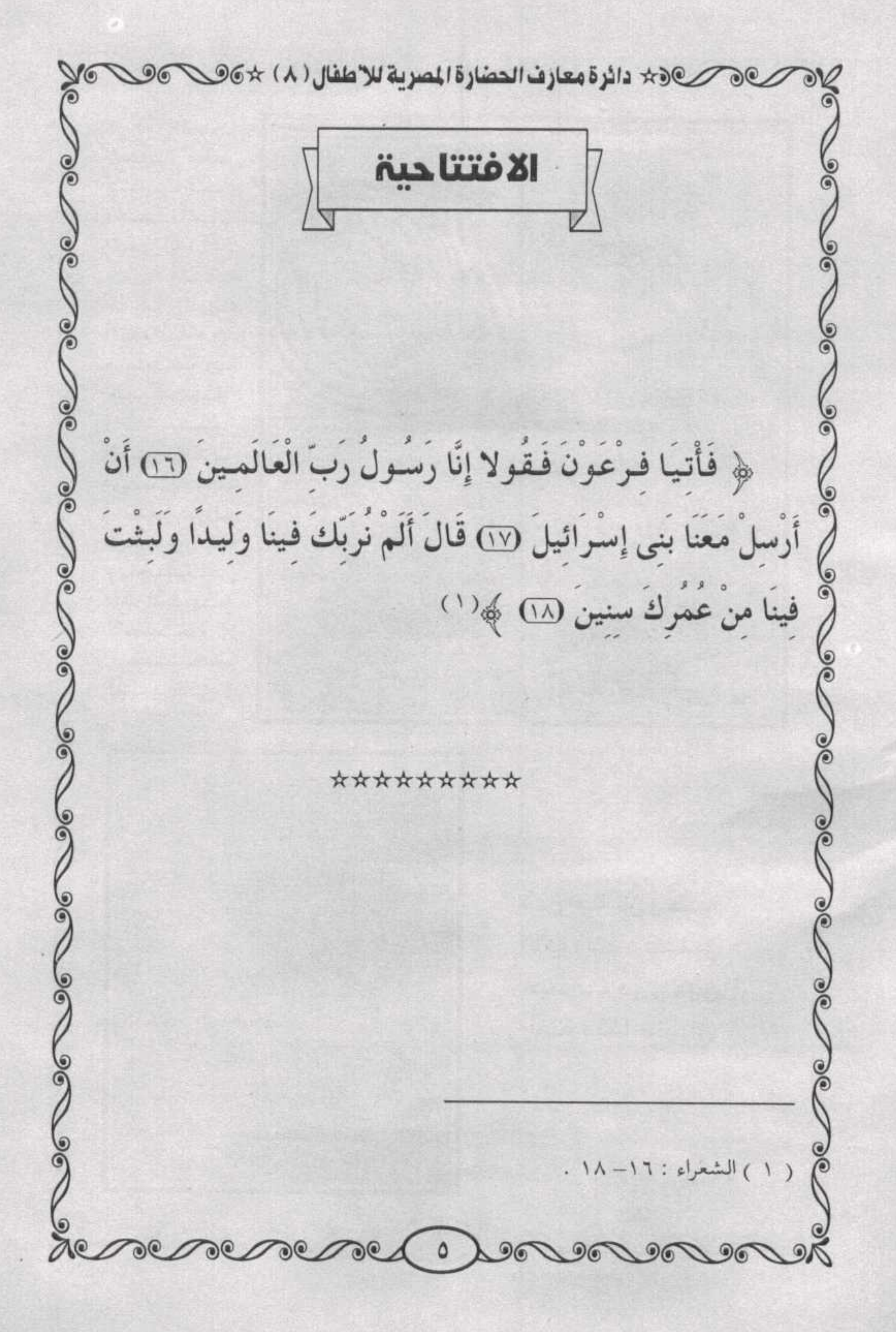
مكتبة جزيرة الورد المنصــورة ☎ ٢٢٥٧٨٨٢

الطبعة الأولى

مكتبة جزيرة الورد
المنصورة ☎ ٢٢٥٧٨٨٢

إخراج فنى وكمبيوتر
بانوراما قنديل للفنون ☎ ٢٢٤١٣٢٩ / ٠٤٠


بسم الله الرحمن الرحيم



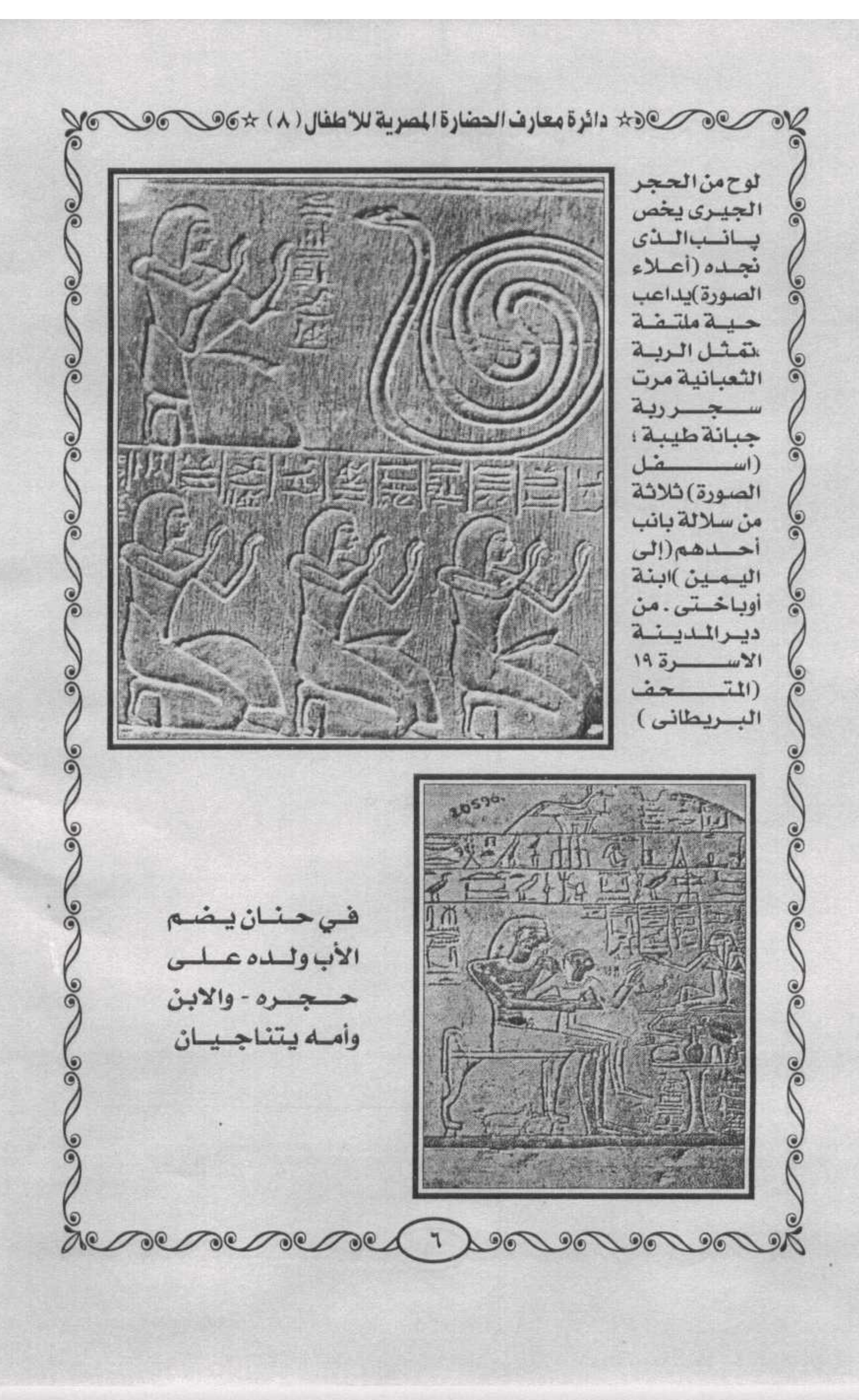
الافتتاحية

﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ
أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ
فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) ﴾(١)

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

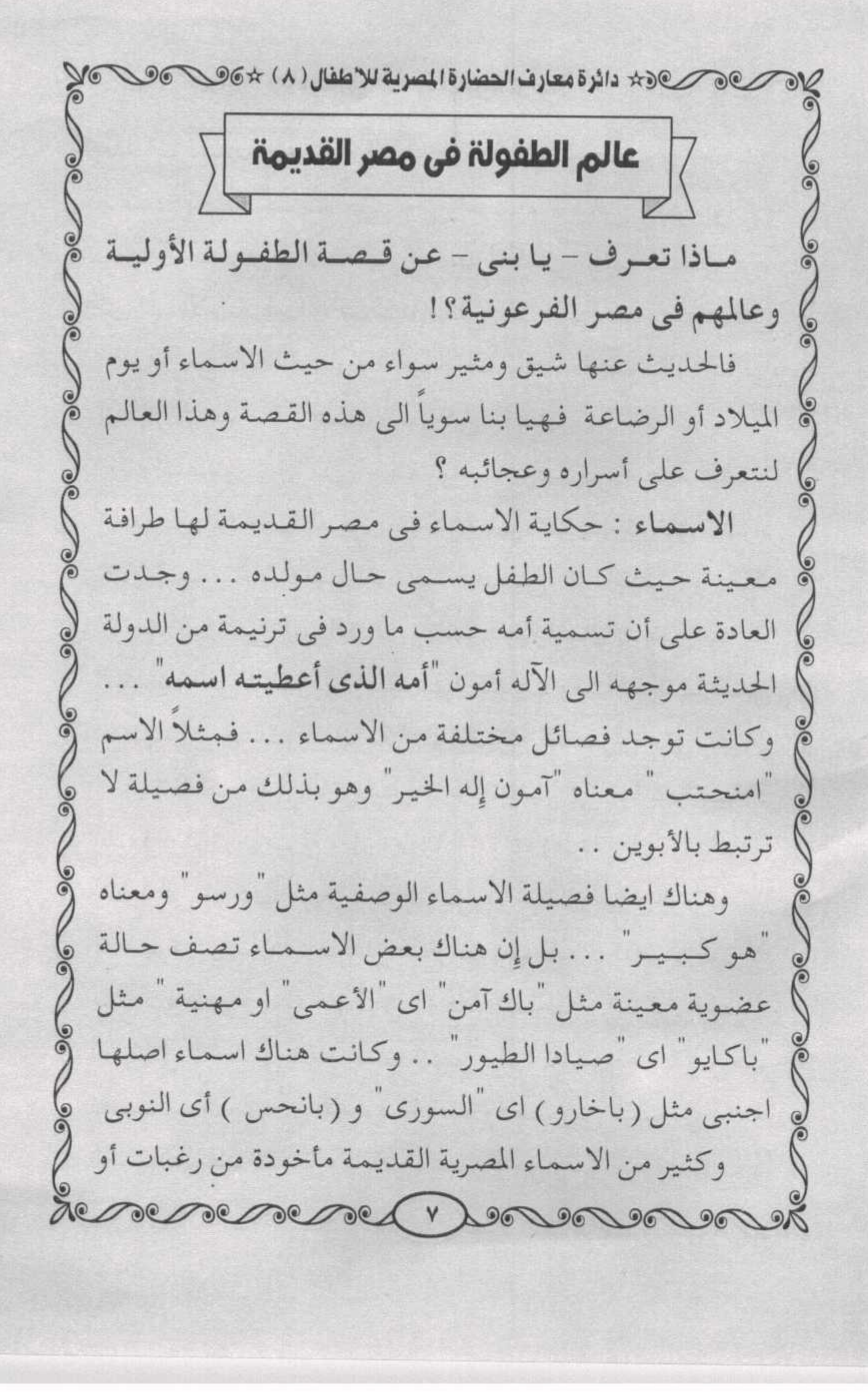
---

(١) الشعراء : ١٦– ١٨ .



لوح من الحجر الجيرى يخص پانب الذى نجده (أعلاء الصورة) يداعب حية ملتفة تمثل الربة الثعبانية مرت سجر ربة جبانة طيبة ؛ (أسفل الصورة) ثلاثة من سلالة بانب أحدهم (إلى اليمين) ابنة أوباختى . من دير المدينة الاسرة ١٩ (المتحف البريطانى)

في حنان يضم الأب ولده على حجره - والابن وأمه يتناجيان



عالم الطفولة فى مصر القديمة

مـاذا تعـرف - يا بنى - عن قـصـة الطفـولـة الأوليـة وعالمهم فى مصر الفرعونية ؟ !

فالحديث عنها شيق ومثير سواء من حيث الاسماء أو يوم الميلاد أو الرضاعة فهيا بنا سوياً الى هذه القصة وهذا العالم لنتعرف على أسراره وعجائبه ؟

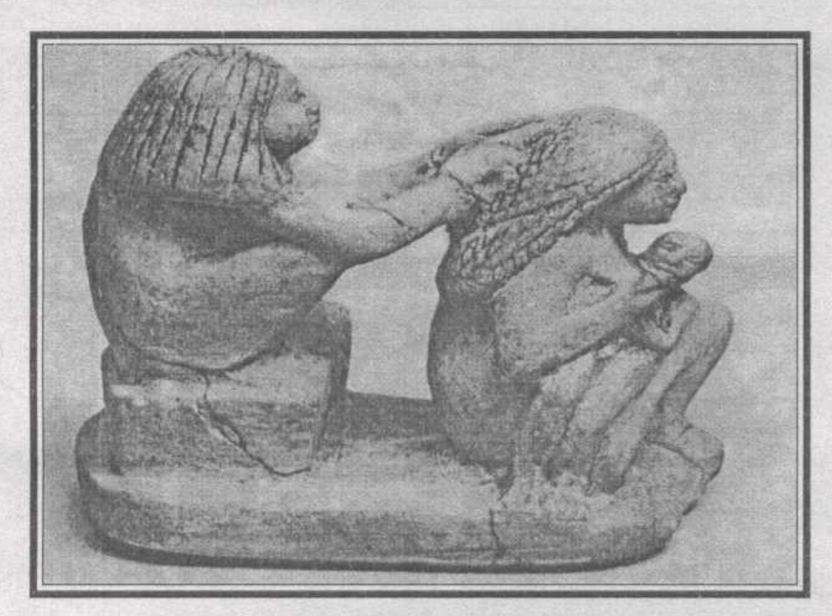
الاسماء : حكاية الاسماء فى مصر القديمة لها طرافة معينة حيث كان الطفل يسمى حال مولده ... وجدت العادة على أن تسمية أمه حسب ما ورد فى ترنيمة من الدولة الحديثة موجهه الى الآله أمون "**أمه الذى أعطيته اسمه**" ... وكانت توجد فصائل مختلفة من الاسماء ... فمثلاً الاسم "امنحتب" معناه "آمون إله الخير" وهو بذلك من فصيلة لا ترتبط بالأبوين ..

وهناك ايضا فصيلة الاسماء الوصفية مثل "ورسو" ومعناه "هو كبير" ... بل إن هناك بعض الاسماء تصف حالة عضوية معينة مثل "باك آمن" اى "الأعمى" او مهنية " مثل "باكايو" اى "صيادا الطيور" .. وكانت هناك اسماء اصلها اجنبى مثل (باخارو) اى "السورى" و (بانحس) أى النوبى وكثير من الاسماء المصرية القديمة مأخودة من رغبات أو

فلتـات لسـان الأم أثناء الطلق . . . فـالاسم جـحـوتى مـوسى معناه "يحيـا تحـوت" . . . ومن أسمـاء الأمـانى (مـرسـورع) بمعنى "عسى رع ان يحبه" واسم انكسى" أنها تنتمى لى" أى الى الام . . أمـا الاسـمـاء مـثل يوت اسى عنخ ، فـتـعنى "أبوها حى" وقد يشارك الأب او القابلة او حضور الولادة فى اختيار الاسم مثل "سنت انبو "هى اختنا" . .

ونتـصـور - يا بنى - أنه توجـد بردية من عـصـر الدولة الحديثة بالمتحف المصرى تذكر قضيـة طريفة تتعلق بشـراء جـارية سـورية صـغـيرة اسـمـهـا "جمنى حى امنتى" ومـعناه "وجـدتهـا على البـر الغـربى" وبطبـيـعـة الحال يتـضح منه ان السـيدة التى اشـتـرتهـا اسـمـتـهـا كـذلك وقت شـرائهـا ولعل السـيـدة وجـدت صـعـوبة اسم الجارية السـورى على لسـان السـيـدةا لمصرية . . وتوجـد اسمـاء تشـيـر الى مناسـبـة مـيلاد الطفل مثل "موت ام ويا" ومعناه "موت (الربة) فى زورقها" اشارة الى موكب الربة موت فى يوم الاحتفال بهذه الربة

★★ **يوم الميـــلاد** : من الواضح أنه ربما كـان المصـريون لا يتـذكرون يوم مولدهم قبل العصـر المتأخـر . أما فى العصـر اليونانى الرومانى فقد ثبت أنهم كانوا يذكرونه . . ويوجـد نصب تذكـارى من الاسـرة الحادية والعشـرين مـسجل عليـه العمر بالضبط ، السنين والأيام والشهور لرجل وابنته يوم وفاتهما .



تمثال جماعى من الحجر الجيرى الملون لامرأة ترضع طفلها وخلفها وصيفه تصفف لها شعرها ، من اللشت ، الاسرة ١٢ متحف المتروبوليتان للفنون)

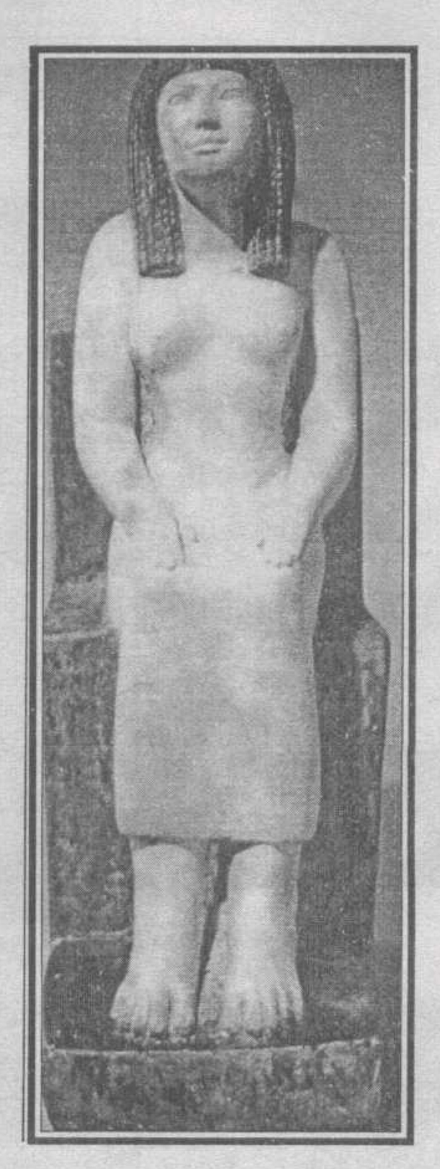


وعاء من الفخار الملون بشكل امرأة يجلس فى حجرها طفل وتلبس ما يشبه التعويذة القمرية الطول ١١سم. مجهولة المصدر الاسرة ١٨ (متحف اللوفر باريس)

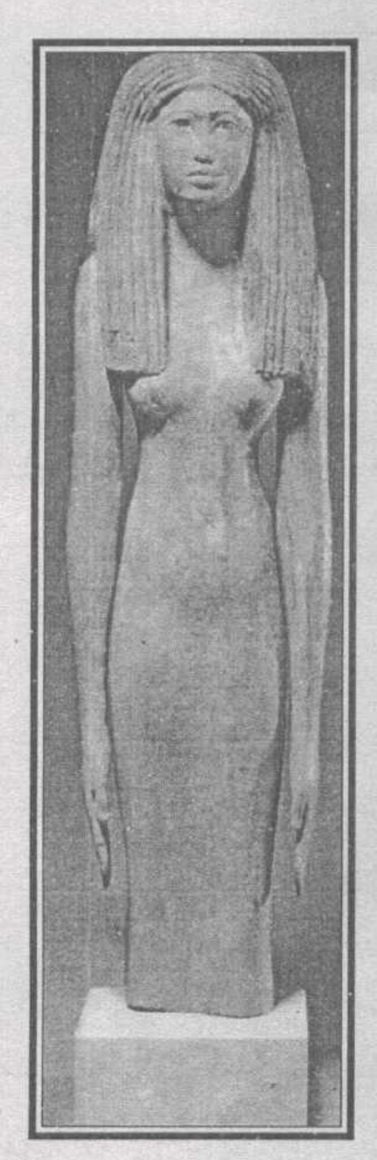
ومن بين مخلفات مدينة عمال المقابر الملكية – دير المدينة وجدت كشوف غياب العمال بكثرة ،وتحتوى على سبب الغياب مثل "يوم عيده" ويدل على عيد خصوصى ربما كان عيد ميلاد أفراد الاسرة .. او "عيد حتحور الخصوصى" مما يوحى بأن السبب ليس ميلاداً .. وفى احدى الحالات كان السبب "عيد ابنته" الذى لا يشك أحد انه عيد ميلادها .. ومن غير المحتمل ان يكون العيد الخاص هو عيد الزواج ، لأن مثل هذا الاحتفال لم يكن معروفاً فى ذلك الوقت .. وإذا كانت هذه تسمية الأطفال وعيد ميلادهم فماذا عن رعايتهم ورضاعتهم ..

تمثال لسيدين
آسرة ١٨ متحف تورين

زوج وزوجته وأحد الأطفال



تمثـال لأمـرأة جـالسـة
أسـرة ٦ مـتـحف البـريانى



تمثال لأمرأة من الخشب
أسـرة ١٢ مـتـحـف
كـوبنهـاجن

رعاية الاطفال ورضاعتهم

نعم - يا بنى - رعـاية الاطفـال ورضـاتعم فـمـاذا عن حكايتهم فى مصر القديمة ؟ !

كانت الأم هى التى ترعى طفلها لمدة طويلة كما يوجد من عبارات آنى : "**عندما ولدت بعد أشهر الحمل ، ظلت أمك ترعاك ، وثديها فى فيك ثلاث سنوات** " ، ويبدو أن الفطام كان يؤخر عادة باعتباره وسيلة طبيعية لتنظيم النسل ، لكن من المشكوك فيه ان تستمر الرضاعة ثلاث سنوات وكانت الأمهات يشعرن بالسعادة عند إرضاع أطفالهن ، ففى وصف من الدولة الحديثة يشبه الكاتب سعادته بمهنته بسعادة الام : "**التى ولدت ولم تشعر بالخيبة ، وترعى ولدها ،دوما ،وثديها فى فمه كل يوم**" لكن المرضة كان لها دور عند الضرورة او لا راحة الأم النفساء بعض الوقت .. وكان استخدام المراضع من عادات الاسر الكبيرة ، لكن استخدمتها ايضا الاسر الفقيرة فى مجتمع مثل دير المدينة فى نهاية عصر الرعامسة ... وقد وجدت رسالة من كاتب هناك موجهة الى ابنة يطلب منه رعاية امه وابنتها الصغيرة ومرضعتها ... وفى بردية بتورين كشف من حسابات دير

المدينة يحدد الأتعاب التى دفعها عامل الى طبيب وقابلة قاما بتوليد زوجته ، وكلها أشياء عينية : حيث حصلت القابلة على ثلاثة عقود يشب ، ومشط عاجى ، وصندل ،ومسلة وكتلة خشب ونصف لتر دهناً ، وتقدر هذه الاشياء بحوالى ٣٠٫٥ دبن ،بينما لم يتقاضى الطبيب نفسه سوى وعاء برونزى وصندلين وبعض السلاسل وحصيرة ولتر زيت لا تزيد قيمتها على ٢٢دبنات ،وزيادة أجر القابلة عن الطبيب بمواصلتها إرضاع أطفال الأسرة الثلاثة ، فطالت مدة خدمتها كثيراً عن المدة التى قضاها الطبيب فى آداء مهمته وكانت المرضعات فى الطبقات الراقية ينلن احتراماً كبيراً . وكانت تصورهن المناظر بنفس مقابيس السادة وفى مقبرة باحدى حاكم الكاب صورة لثلاث حاضنات على الاقل على قدم المساواة مع بناته من الاسرة الثامنة عشر ، لكل بنت حاضنة كما يوحى المنظر ... وفى صورة باحدى مقابر الدولة الوسطى تظهر مرضعة ومعها مربيتان مع احداهما قضيب الولادة ، وأسماؤهن ووظائفهن مسجلة الى جوارهن كدليل على شدة الروابط بين المربيات والاسرة والوظيفة المنقوشة هى "الحلوب" وتصف الوضع بدقة وإن كانت اللفظة غير مستأنسة الآن .

وفى الاسرة الملكية كانت المرضعات لهن مكانة سامية

الأمير رح حتب وزوجته نفرت. الأسرة الثالثة. المتحف المصرى

القزم سنت وأسرته . الأسرة الخامسة . المتحف المصرى. القاهرة

إمرأة جالسة
إسرة ١٨ . متحف
هانوفر



الملكة ميريت أمون - الأسرة ١٩ - الدولة الحديثة - المتحف المصرى

زوج وزوجة - الأسرة ١٩ - متحف اللوفر

فتاة تلعب ألعابا بلهوانية (الاسرة ١٩) الفن المصرى

سن نفر وزوجته وأبنتها المتحف المصرى - القاهرة.

راقصات من مقبرة "عنخ مع حور" بسقارة - الدولة القديمة - الفن المصرى

أوضاع للمصارعة - مقابر بن حسن - الدولة الوسطى

وكانت صلتهن بدوائر القصر الداخلية سبباً مهما فى ترقية أزواجهن . .

وكانت هناك مربيات أيضاً ، وهى وظيفة أقل قدراً من المرضعة . . . . والمربية قة تعنى مرافقة وقد تعنى خادمة وهى دائما من الإناث

وماذا عن الرضاعة ؟! بداية كان لبن الأم يوصف لعلاج كثير من الأمراض ، واستمر ذلك طوال العصر القبطى . . . وقد وصف فى تذكرة طبية بأنه "**السائل الشافى الذى فى صدر ى** " على لسان الربة إيزيس . . .

وقد وجد جرار لحفظ اللبن على هيئة امرأة تحمل طفلاً ، لكنه لا يظهر فى وضع الرضاعة أبداً رغم انه احيانا يكاد يصل الى ثديها وهو جالس أو راقد فى حجرها أو محمول فى كيس على كتفها . . أما المرأة فمتقرفصة دائما على حسب الوضع التصويرى التقليدى للمرأة التى ترضع طفلاً و يعزز ذلك الكتابة الهيروغليفية المصاحبة . .

وكان يوجد حول عنق المرأة تميمة على شكل قمر بازغ لها علاقة باللبن وإدراره . . . ويختلف شكل شعرها عن الحامل والنفساء ، إذ ينسدل على ظهرها منسابا أو مصففا كذيل الفرس ، وممشط من الأمام على شكل ضفرتين طويلتين تصلان إلى حجرها .

لعب الاطفال

نعم - يا بنى - كان اللأطفال فى مصر القديمة لعب خاصة بهم ، وقد صنعت خصيصاً لهم .. ولم لا ؟ وقد اعتبر اهل العلم ان ألعاب الأطفال من أقرب وسائلهم الى جمع المعارف وإثبات شخصياتهم . . . وكان المكان الطبيعى للعب الأطفال هو منزلهم الخاص ، حيث قد تم العثور على لعب الأطفال فى مقابرهم الخاصة والتى وجدت طريقها الى متاحف العالم ، وقد تم صناعة هذه اللعب من مواد مختلفة من الطين ،الخشب والجلد والعاج وكانت اللعب الخاصة بالاطفال تتباين حسب طبيعة الاسر ومركزهم الاجتماعى وكان من أشيع هذه اللعب هى "**العب المتحركة**" : ومن الجدير بالذكر أن الفرقة الراقصة التى تضم أربعة أقزام من عهد الدولة الوسطى فى أثناء فترة حكم سنوسرت الأول لفتاة تدعى "حابى" وقد تم العصور عليها فى مقبرة باللشت .

★★ وإذا قمت -يا بنى - بزيارة المتحف المصرى ستجد لعبة مماثلة من الخشب تمثل رجلاً يمسك بين يديه جسماً اسطوانيا قد يمثل مرحاة يطحن بها الحب ينزل به ويصعد على منحدر مائل أمامه وقد ربط فى جانبى جذع الرجل

خيطان يشدهما الطفل فيوقفه يرخيهما فيجعله يميل .. وإلى جانب هذه اللعب المتحركة عشر على لعب أخرى حيوانية متحركة وأشهرها ما يمثل تمساحاً خشبياً ذا فك مفترس عن طريق خيط شد به .. وضفدع عاجية صغيرة ذات فك متحرك ..ولبؤة خشبية ذات فك متحرك مثلث وكأنها تسير فى خطو وئيد ، وقطة خشبية ذات فك متحرك وعينين مطعمتين ... فضلاً عن لعبة متحركة تجمع بين إنسان وحيوان وهى لرجل من ورائه كلب على محور يمكن انه يدار ليهاجم الكلب فريسته .

★★ **الدمى** : وماذا عن الدمى بعد ان عرفنا اللعب المتحركة ؟

الدمى وهى اللعب غير المتحركة وقد وجد منهامايشبه شكل الانسان وما يشبه شكل الحيوان وأهم ما يميزها عن اللعب المتحركة أنها تعتمد على الاحتمال ومن الأمثلة على ذلك مجموعة صغيرة من الحجر الجيرى الملون وجدت فى منطقة اللشت ارتفاعها حوالى بوصتين وربع البوصة ، وتمثل امرأة جالسة ترضع طفلها وقد أقامت احدى ساقيها وثنت الاخرى بينما جلست من خلفها على قاعدة حجرية منخفضة خادم لها او صديقة تمشط لها شعرها ... وقد عثر فى طيبة على دمية مجهولة طريفة صغيرة لقرويتين تمشط إحداهما



ثلاث ملاعق لحمل المساحيق من الخشب الملون على هيئة فتيات مع أغصان البردى وزهور اللوتس

تمثال ثنائى صغير لولد وبنت يلعبان من مقبرة نى -كاو - انيو - بالجيزة الاسرة ٥-٦ ، معهد الآثار الشرقى بجامعة شيكاغو).

شعر الأخرى .. وإذا قمت - يا بنى - بزيارة الى المتحف المصرى ايضا ستجد مجموعة لأم تمشط شعر ابنتها وهى من الحجر الجيرى وقد لونت جدائل شعر الأم وإبنتها باللون الأسود.

- وعلى فكرة قد صنعت بعض الشعور المستعارة لهذه الدمى من خيوط على هيئة الخرز ، وبعضها من الصدف ، وبعضها حليق إلا من خصل صغيرة قد تشير الى طفولة أصحابها ، كما إن منها ما حفرت فيها ثقوب صغيرة لتثبيت خصل من الشعر الطبيعى ..

وباستثناء هذه الاشكال التى على شكل إنسان توجد مجموعة كبيرة أخرى من الحيوانات الواقفه والباركة مثل القطط والكلاب والقردة والجرابيع وأفراس النهر ، وأغلبها من القشيانى المزخرف وتترواح أطوالها بين ثلاثة أرباع البوصة والثلاث بوصات ..

على أنه الى جانب هذه الصفوف من اللعب ، وجدت لعب أخرى بسيطة لأطفال العامة كالشخاليل التى كان هيكلها الداخلى يصنع من أعواد نباتية رفيعة يلف القش حولها .. فما أجمل ألعاب الطفل المصرى القديم فى هذا العصر السحيق الغابر ...

★★★★★★



رمسيس الثانى طفلاً مع المعبوة حورون

رمسيس الثانى والطفولة

هل زرت - يا بنى- المتـــحف المصـــرى ورأيت هذا التمثال الذى يتصل بموضعك الحبيب ،موضوع الطفولة ؟

إنه تمثال لرمسيس الثانى وهو طفلاً مع المعبوة حورون ، حيث يربط هذاالتمثال الضخم بين رمسيس الثانى طفلاً وبين المعبود الكنعانى "حورون" كهيئة الصفر هنا ، حيث مثل الطفل الجالس القرفصاء عارياً سبابته على فمه وفق التقاليد معصبا بخوذة يعلوها قرص الشمس مع جديلة

جانبية يتحلى بها أطفال علية القوم ، وبيده اليسرى نبات سوت ، ومع أن هذا التمثال للطفل الملكى إنما هو فى الوقت نفسه ترجمه مادية لمجموعةالعلامات الهيروغليفية التى تؤلف اسم رمسيس الثانى (رع - قرص الشمس - مس للطفل- سوت - النبات) = رع مس سو (رمسيس) ويستند الطفل الى الصقر الهائل يحميه بجناحيه بريشهما المتناسق ومخالبه القوية ذات الحراشيف الدقيقة .. ويوجد على القاعدة نقش يسمى : الآله الطيب وسر ما عت رع - ستب ن رع ، بن رع - رمسيس مرى آمون - حبيب حورون ، رمسيس مرى آمون .. وقد نحت وجه الصقر مستقلاً من الحجر الجيرى حيث عثر عليه فى حجرة مجاورة لموقع التمثال نفسه نعم ، إنه تمثال للطفولة يجمع أكثر من معنى .. أما ماذا عن الحياة الاجتماعية فى مصر الفرعونية ، فقد حان وقت الحديث عنها فإلى هناك .

مقبرة نخت وجانب من الحياة الاجتماعية داخل أعمالهم .

حكايـة الـزواج

أنت تعلم – يا بنى – أن الاسـرة هى النواة الحقيقية للحياة الاجتماعية .. وكانت الاسرة فى بادئ الأمر ذات إطار محدود ، قوامها زوج هو رأس الأسرة وزوجة هى ربة البيت ، وأطفال يعيشون فى كنف الاثنين وتحت رعايتهما ... ثم سرعان ما أخذت تتعدى ذلك الى العمات والخالات بل الأعمام والأخوات ، ومن ثم فالأسرة بهذا المعنى إنما كانت تشمل جميع الأفراد الذين يعيشون فى كنف ربّ الاسرة ، أيا كانت درجة القرابة التى تربطهم به ، ثم إن رب الأسرة إنما كان يتكفل عادة بنساء الاسرة غير المتزوجات ، أو إن الاسرة كانت تشمل الوالدين والأولاد والأخوة والأخوات جميعاً يخضعون لسلطة رب الاسرة ..

★★ **مقومات الأسرة** : وقد افترض الحكماء المصريون القدامى إنه من مقومات فلاح الاسرة : أهلية الزواج ، الزواج المبكر ، حسن القدوة من رب الاسرة ، رشاد الزوجه ، التعاطف والألفة والأخوة الروحية بينهما ، ووفرة النسل ، وأداء الالتزامات ...

ولا تزال أغلب هذه المقومات التى وردت فى تعاليم

ونصائح من عهود مصرية قديمة متفرقة ، هى المثلى عادة ليكون الزواج سكنا وعصمة ومودة وتقاربا روحيا ، وعلاقة مشروعة للتكاثر واستمرار العمران . . .

وهكذا أوصى الحكيم بتاح حوتب نجله الاكبر الذى تسمى بمثل اسمه ،وهو يهيؤه لمسئوليات الرجولة والحياة العامة ، فى فترة ما من القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد ، قائلا له فيما قال : « **إذا أصبحت كفئا أسس بيتك ، وأحبب زوجتك فى حدود العرف ، أو عاملها بما تستحق** »

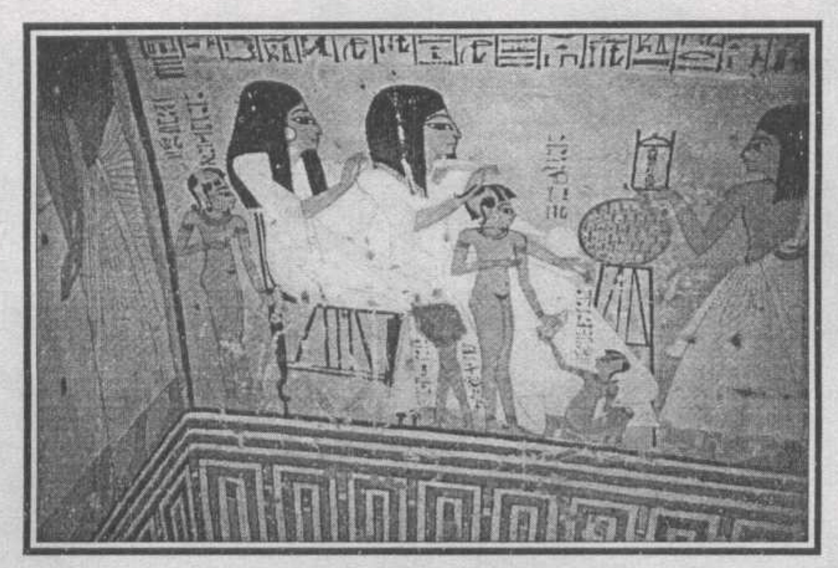


نقش حائسى يمثل الأمير (نخت) يصطاد الطيور ،معه أولاده - من مقبرته بطيبة بالأقصر ، (الدولة الحديثة) ١٤٢٥ق.م

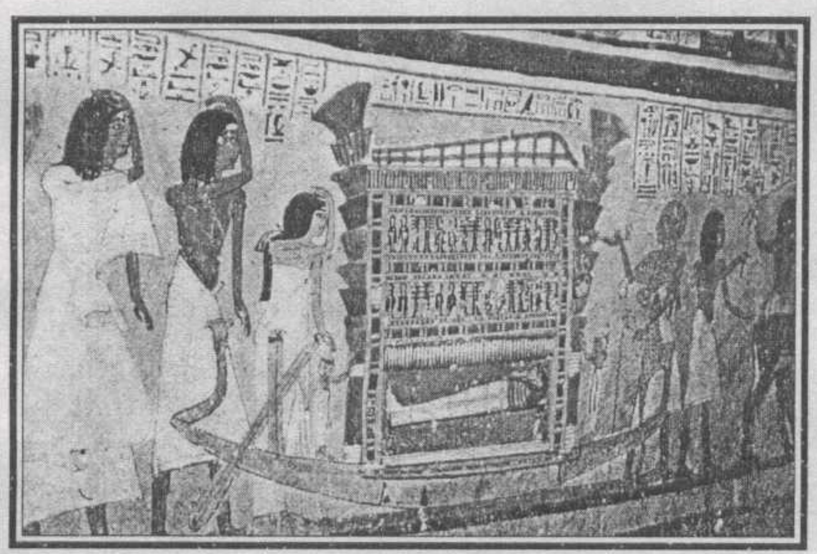
نقش حائطى يمثل أميرات جالسات وتقوم خادمة بتزينهن - مقبرة نخت بطيبة ، الاقصر ١٤٢٥ق.م

ووعظ الاديب آنى ولده خنسوحتب على فترة من القرن السادس عشر ق.م بقوله "تخير لكَ زوجه وأنت شاب وأرشدها كيف تكون إنسانة " ثم قال : " **وعساها تلد لك ابناً ، فإنها إذا انجبته لك وأنت فى طور الشباب استطعت ان تهذبه وتجعله إنساناً وطوبى للمرء كثير الأهل حين يرتجى من أجل ابنائه** " .... وزاد الأديب "عنخ شاشنقى" من القرن الخامس قبل الميلاد قوله لولده فى شئون الزواج : "اتخذ لك زوجة حين تبلغ العشرين ، حتى يتأتى لك الخلف وأنت فى معين الشباب " وقال له : "**قد تقترض ما لا بفائدة لتتزوج به ... ولكن لا تقترض مالا لتتعاظم به** " ووعظه حين اختيار قرينته بمثل قوله : " **احذر ان تتخذ فتاة سيئة الطبع زوجه ، حتى لا تورث أبنائك تربية فاسدة** "

★★ **الزواج من الأخوة** : ويزعم كتاب الاغريق القدامى يتابعهم فى هذا بعض المؤرخين المحدثين ، أن الزواج بين الاخوة كان أمراً شائعاً بين القوم فى تلك الأيام الغابرة ، فعل ذلك الفراعين ، كما فعله بعض آلهة القوم مثل أوزير وإيزة ، وست وبنت حت ، وأن هذاالزواج بين الاخوة إنما كان ثمرة الآلفة والمودة والترابط العائلى ، فضلاً عن الرغبة فى الاحتفاظ بأملاك الاسرة دون تبديدها عن طريق الزواج بين الأغراب



الرسام إين حرى خعو وزوجته ومعهما بعض الحفيدات يتلقون بعض القرابين - مقبرة إين حرى خعو - دير المدينة - الاقصر .



مومياء المتوفى تتجه الى مثواها الأخير والزوجه تعبر عن حزنها

ولعل هذا الأمر الأخير إنما كان سنة عند الشعوب القديمة . – وقد عرفنا ان الزواج يتم فى مرحلة مبكرة كما هى العادة فى الشرق كما ذكرنا فيما سبق ، فماذا عن عقد الزواج ؟!

. . . لم تظهر اى تفصيلات عن المرحلة السابقة له ، ولا عن الطقوس التى كانت تمارس بهذه المناسبة ، لكنْ يبدو ان مراسيم عقد الزواج ، إنما كانت تتم فى المعبد بحضور أقرباء الزوجين ، وإن كان لم يتم حتى الآن العثور على عقد زواج يرجع الى ما قبل عصر الدولة الحديثة ، ولكن فى العصور المتأخرة كان الزواج يتم عن طريق عقد مكتوب ، وهناك ما يشير الى أن ولى أمر العروس إنما قد ظل ينوب عنها فى كتابة العقد حتى القرن السابع قبل الميلاد ، ثم أباح المجتمع للعروس وبخاصة الثيب ، أن تحضر كتابة العقد بنفسها وكان عقد القران يشهده الشهود من القرية او الحى وتسجل أسماؤهم به ، واسم فرعون ،وينص كتابة على قيمة الصداق من أوزان الفضة ومكاييل الغلال ، فضلاً عن مؤجل معين يدفعه إذا نشب بينه وبين زوجته ما يدعوه الى الانفصال ، وفى عقد متأخر تعهد الزوج ان يقدم لزوجته نصيبا من الحنطة كل صباح ، ومقدار من الزيت كل شهر ، وراتبا لنفقاتها الشخصية كل شهر ، وراتبا مفروضاً لتكاليف زينتها كل عام ، كما تعهد كذلك ان يدفع تعويضاً إذا

سواها وتزوج سواحا ، وتضمن العقد نفسه عبارة مقصودة أكد بها الزوج لزوجته أنه يعلم تمام العلم أن نفقات زينة العام تخالف راتبها الشهرى المعلوم ،،لم يكن تأكيده هذا بدعة وإنما كان مما ينص به العرف ،ولا سيما شغف المصريات الموسرات وحليهن وصنوف العطور والدهون والزهور والمرايا والمكاحل والمراوح فضلا عن الشعور المستعارة للخروج والمحافل ، كان شغفا فريدا تشهد به صورهن الباقية والنماذج الكثيرة التى وجدت من أدوات زينتهن فى مخلفات المقابر . .

وهناك ما يشير ، وبخاصة فى عهد الدولة الحديثة الى ان أموال الزوجين إنما كانت مشتركة بينهما .

الواجبات الزوجية : نعرفها من الوزير "بتاح حتب" وهو يصور لفتاة بعض الواجبات الزوجيه فى تعاليمه وأوصى بأدائها فقال : " **إذا كانت عاقلاً فأسس لنفسك داراً ،وأحبب زوجتك حباً جماً ، وآتها طعامها ، وزودها بالثياب وقدم لها العطور لينشرح صدرها ما عشت** "

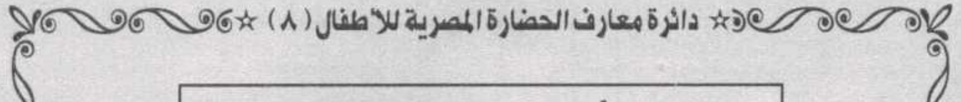
الملك سنفرو وزوجته

★★ **زينة المرأة :** يقول حكيمنا عن زينة المرأة فقد أضاف إليه فن تجميل المرأة عن طريق إبراز مفاتنها فى إطار رقيق جذاب يفوح بالعطر الذى يبعث فى النفوس النشوة والإفتتان ، فيقول " قدم لها العطور لينشرح صدرها ما عشت " ثم يشبه الحكيم بعد ذلك المرأة بالحقل الطيب ، الذى يؤتى ثماره ، ويعود بالخير الوفير على صاحبه ، فهى (حقل مثمر لصاحبه) ثم يوصى فتاة بعد ذلك (إياك ومنازعتها ، لا تكن فظا ولا دائما على رفاهيتها ليدوم صفاؤك وتتصل سعادتك "

☆☆ وفى الدولة الحديثة يوصى الحكيم "آنى" ولدة بألا يمثل دور الرئيس مع زوجته ، وأن يرعاها فى صمت حتى يمكنه التعرف على أعمالها الحسنة ،ويؤكد إنها ستكون سعيدة إذا كانت يده معها فيقول : " **لا تمثل دور الرئيس مع زوجتك ، ولا تقسى عليها فى دارها ، إن أدركت صلاحها . لا تسألها عن شىء أين موضعه إن كانت قد وضعته فى مكانه المناسب ، افتح عينيك وأنت صامت وعاونها ، تعلم كيف تمنع أسباب الشقاق فى بيتك ، إذ لا مبرر لخلق النزاع فى البيت ، وكل امرئ قادر على انى يتجنب إثارة الشقاق فى بيته ، إذا تحكم سريعاً فى نزعات نفسه .**



الملك توت عنخ آمون يصطاد السمك ومعه زوجته



دور المرأة فى الحياة الاجتماعية

أتاح المجتمع المصرى للمرأة ممارسة نشاطها الاجتماعى المناسب لها فى بيئتها الخاصة وفى مجريات بعض الشئون المدنية والدينية ،طالما تمتعت بالكفاية الشخصية وظفرت من الثقافة بنصيب يناسب عصرها وتقاليده

على الرغم من أن محاولات التعليم الدراسى كانت من نصيب الأولاد ، ولكن من خلال بعض الوثائق وإن كانت متباعدة إن قله من المصريات قد تعلمن الكتابة والقراءة فى بيوتهن وانتفعن بها كما تذوقن الأدب وتراسلن به ،وقد حملن بعضن لقب الكاتبة ، ومن تولت كتابة رسائل الملكة ، ومن شاركت زوجها الأمير فى كتاباته وقراءاته وإن اعترفت بأنها بقيت دونه فى تجويد الخط وإتقان الأسلوب .

ومنهن من تولت تثقيف فتية من الأجانب باسم البلاط الملكى فى عصر الرعامسة ، ومن تلقبت بلقب رئيسة الحكيمات .. ومن نسب اليها الاشتراك فى بعض شئون القضاء وبعض شئون الوزارة .

وتضمنت بعض مخطوطات عصر الرعامسة رسائل انشائية لإناث من أواسط الناس كن يتبادلنها مع بعضهن

البعض ،ويقصن فى سياقها ترديد الأمان وأساليب الوصف وزارت إحداهن مدينة منف ذات مرة ، وأرسلت صديقة لها تسكن فى مدينة الأقصر .. فكتبت لها بإسلوب طريف عن روعة هذه المدينة (منف) وشبهتا بغادة شقراء ، تكنية عن أسوارها الشهباء ، ومبانيها البيض . ووصفت لها غرائرها الناعمات وما يؤثرنه من أكاليل الزهور وغصون النبات ،وصورت لها رخاء المدينة ودللت لها على رقى الحياة فيها بأن البدوى الأشعث إذا دخلها تحول الى مدنى مرفه ، يتعطر بالزيوت العطرة ويتجمل بالزهور .. ثم وصفت لها مواكب الجند وهم يشقون طرقات المدينة بين التهليل ودقات الطبول .

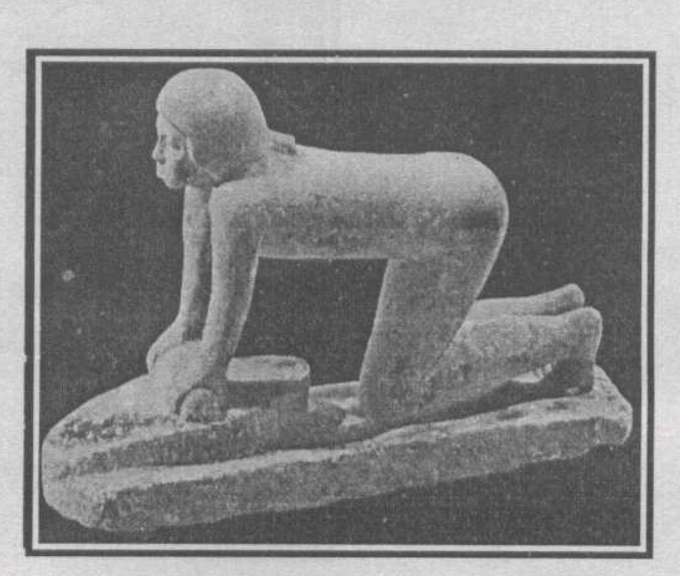
جلسة المرضعة فى الأسر الوسطى



زوج وزوجة

ود يجمع بين
أفراد
الأسرة الواحدة

صناعة البيرة
الأسرة الخامسة
المتحف
المصرى - القاهرة



خادمة
تجرش
القمح
الأسرة
السادسة
متحف
فينيا

– ونسب المتدينون المصريون مخايل العلم الى بعض معبوداتهم الإناث ، فاعتبروا المعبودة (سشات) راعية للكتابة والكتاب ،وتناقلوا أنها كانت أول من حسب وخط بالقلم إلى جانب راعيالعلم والكتابة (تحوتى) . . .كما نسبوا الى المعبودة "إسة" شيئا من العلم بالكتابة والحساب ايضا ، وذكروا إنها قالت "أرشدنى أبى إلى سبل المعرفة" وأنها اتفقت معه فيما بعد الى ابتداع خط مختصر جديد وهو الخط الديموطى . فضلاً على ان جسد رمز العدالة والحق فى مصر القديمة على هيئة معبودة أنثى وهى (ماعت) .

وأسهمت بعض كبريات الأميرات المصريات فى مجريات الحكم والسياسة ، فنجحن حينا وفشلن أحياناً ،وبلغت العرش ، منهن خمس أميرات – كما سبق أن ذكرنا – وهن :

خنت كاوس فى نهاية الاسرة الرابعة .

نيتى إقرتى فى نهاية الاسرة السادسة .

سبك نفرو فى نهاية الاسرة الثانية عشر .

حتشبسوت فى منتصف الاسرة الثامنة عشر .

تاو سرت فى نهاية الاسرة العشرين .

فضلاً عن كيلوباترة الشهيرة وإن تكن متأخرة بالعهد بطلمية الأصل ، وفشلت أغلب تجارب هذه الأميرات أو الملكات فى سياسة أمور الدولة ، فيما خلا حتشبسوت التى

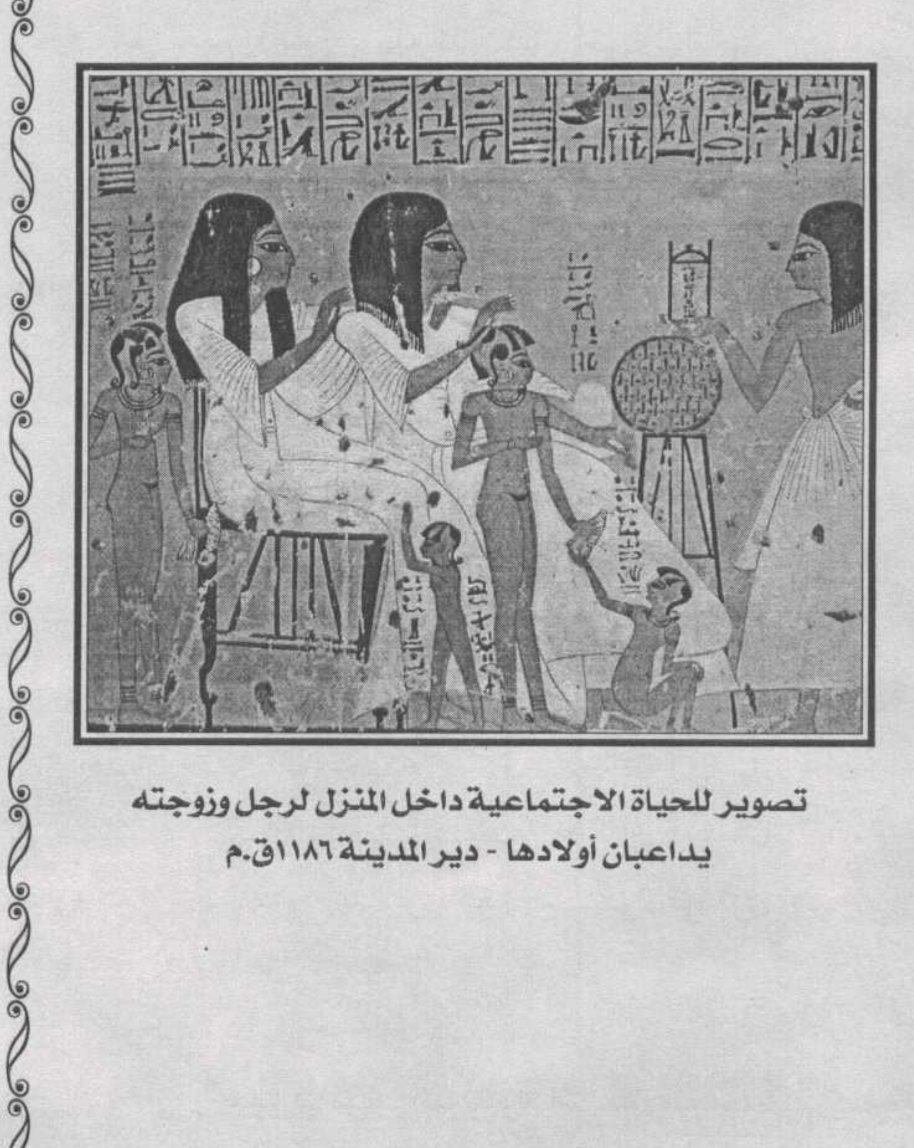
أحبت تصويرها فى سمات الرجال واتصفت بعزائمهم وسيطرت على العرش اثنين وعشرين عاماً . .

واشتهرت إلى جانب هاته الوارثات للعرش أميرات أخريات عظيمات باشرن السلطة من وراء ستار إلى جانب أزواجهن من كبار الملوك

كل ذلك يبين دور المرأة فى الحياة الاجتماعية مقارنة بالأمم السابقة فى العصور الخالية :



حصاد القمح - نقش حائطى من مقبرة « سنجم » بدير المدينة بالقرنة (الأسرة ١٩)



تصوير للحياة الاجتماعية داخل المنزل لرجل وزوجته
يداعبان أولادها - دير المدينة ١١٨٦ق.م

طبقات المجتمع المصرى القديم

هل تعلم يا بنى – بأنه قد شبه (جون ويلسون) الدولة والمجتمع المصرى القديم بالهرم ، ثم وضع فى أعلى الهرم ، هرم صغير مستقل ، رأى أنه يمثل الملك الذى يحكم فوق وزرائه الذين كانوا بدورهم فوق حكام الأقاليم ، الذين كانوا فوق عمد البلاد والقرى ، ومن الناحية الاجتماعية كان فرعون فوق النبلاء الذين كانوا بدورهم فوق الفنانين وصغار التجار والعمال والفلاحين ، أما عن التنظيم الدينى فكان فرعون هو حلقة الاتصال الوحيدة مع الآلهة وكان فوق الكهنة الذين كانوا بدورهم فوق الشعب ، وهذه التشبيهات الهرمية ليست فى الحقيقة إلا شيئا واحداً ، لأن كبار الموظفين والنبلاء وكبار الملاك والكهنة إنما كانوا فى درجه واحدة ، فقد كانوا جميعا يكونون الطبقة التى تلى فرعون مباشرة ، وكان ينيبهم عنه فى تأدية المهام ا لخاصة به ، وهكذا كان المجتمع المصرى القديم يتكون فى أول أمره من طبقتين بنهما فرق واضح :

☆ طبقة عليا وهى الحاكمة :

وعلى رأسها فرعون وأسرته وحاشيته ومن حولهم كبار

موظفى الدولة وأمراء الأقاليم وكبار الكهنة .

☆ طبقة دنيا وهى العاملة الكادحة :

وتتكون من عمال الزراعة والصناعة والصيادين والملاحين والرعاة والخدم وجميع أصحاب الحرف الذين يعملون فى الخدمات العامة والخاصة .

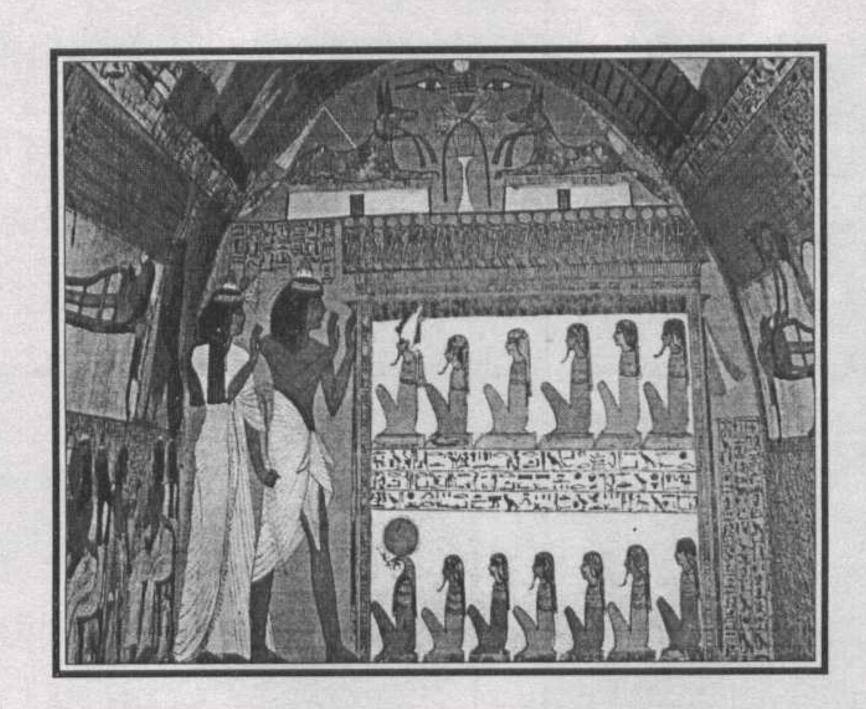
وتشير آثار الأدباء والحكماء وأصحاب التأملات الخاصة إلى هذا النظام الطبقى ، ومنهم حكيم الثورة الاجتماعية الرفيع وكيف أن الذين لم تكن لهم أسر معروفة قد أصبحوا أصحاب اليسار ، وكيف أخذت محن الجوع والفقر بأبناء البيوتات من جميع أقطارهن ، يقول الحكيم المصرى " **انظر : لقد حدث هذا بين الناس ، فمن لم يكن فى قدرته ان يقيم حجرة أصبح الآن يملك فناء مسوراً ، انظر : إن النبيلات يرقدن الآن على الفراش الخشن ، والأمراء ينامون فى المخزن ، ومن لم يكن ميسر له ان ينام على الجدران ، أصبح الأن صاحب فراش ويسر ، انظر : إن الرجل الغنى أمسى يمضى ليله ظمآن ،ومن كان يستجدى بقية سؤره أصبح يمتلك جعه قوية ، انظر : إن الدين كانوا يلبسون الملابس الفخمة أصبحوا الآن فى خرق بالية** "

وتقدمت الحياة بالناس الى زمان الدولة الوسطى ،ونشأت

بين الطبقتين المذكورتين طبقة ثالثة ، هى الطبقة الوسطى طبقة حرة قوامها صغار الموظفين والتجار وأصحاب الحرف الممتازة ، وها هى طبقات المجتمع المصرى القديم :

(١) الطبقة العليا : -

كان على رأس هذه الطبقة فرعون الذى آمن المصريون القدامى ، راغبين أكثر منهم مكرهين ، بأنه إله تكرم وأقام فوق أراضى مصر ليحكم الناس بمقتضى الحق الإلهى الموروث ، وليدبر أمورهم وفقا لمشيئه الله ، فدانوا لسلطانه فى الدنيا وآمنوا باستئنافه فى الآخرة ، وكانوا يدعونه الإله الطيب فى حياته ، والإله العظيم بعد مماته ، فهو الإله الصقر "حور" الذى تجسم فى هيئة بشرية . . . ومن ثم فهو ، فى نظر رعاياه ، **إله حى فى شكل إنسان** ، يتساوى مع غيره من الآلهة ، كما له على شعبه ما لغيره من الآلهة من التقديس والمهابة ، وفى الواقع ان هذا أمراً لم تنفرد به مصر بين بلاد العالم ، إنما كان يسود أمم الدنيا المعروفة فى العصور القديمة ، وكان فرعون غير معزولا عن شعبه بل كان شديد الاتصال به ، حيث كان عليه عدة واجبات فهو المسئول عن الدفاع عن مصر وحماية حدودها من غارات الشعوب المجاورة والطامعة فى خيراتها ، ثم يستمع لشكوى الناس ، ويعنى بشئونهم ويهتم بمراقبة موظفيه ورعايتهم ويجزل العطاء لمن أخلص منهم



سنجم وزوجته - يتعبدان الآلهة

وكان هؤلاء الحكام يعيشون عيشة ترف ورفاهية ، فيسكنون الدور الفخمة ويقتنون الضياع الواسعة ويقيمون الولائم المترفة ، ويتنقلون فى محفات تحمل على أكتاف الرجال ، حتى إذا ما كانت أيام الدولة الحديثة .. وعرفت مصر الخيل والعجلات استبدلوا بها المحفات وباتوا يتنقلون عليها ، ويمارسون فوقها ألوان الفروسية والصيد والرياضة ،ويسترخون عليها بين المزارع والحقول وعلى شواطئ النهر .

(٢) الطبقة الوسطى :

لم يكن هناك نظام طبقات صريح يظل فيه النبلاء والصناع والفلاحون مرتبطين بطبقة معينة جيلاً بعد جيل ، فكان المجتمع ينظم على أساس استمرار الاشياء الموروثة ، فيستمر ابن الفلاح ليكون فلاحاً ، ونتوقع منه أن ينجب أبناء يعملون فلاحين ، والأمر كذلك فى طبقة النبلاء ولكن المصرين كانوا عمليين متسامحين ،ومن ثم فلم يجبروا شخصاً على ان يظل أبد الدهر فى طبقته التى توارثها إذا واتته الفرصة أو الضرورة للتغيير ، ففى العصور التى نمت فيها الدولة وتقدمت كانت البلاد فى حاجة الى خدمات الرجال ذوى المقدرة الذين يعتمد عليهم ، ففى مثل تلك العصور يمكن ان يوجد الصناع بين الفلاحين ويصبح خدم المنازل عمالاً مهرة ، ثم يكافأون بالممتلكات والوظائف والمييزات ،

ومن ثم يصبحون ضمن زمرة الارستقراطيين .

– وهناك أمثلة انتقل فيها بعض المواطنين من أشخاص عاديين إلى طبقة كبار الموظفين فى الدولة فهناك مثلاً :

–(**ونى**) حيث قد نشأ نشأة متواضعة ثم استطاع ان يرتفع إلى أحد المراكز المرموقة فى البلاد .

–(**نخبو**) حيث كان مهندس معمارى وأخذ يترقى فى الوظائف حتى وصل إلى وظيفة الرفيق الوحيد ومصم وبناء الملك . . . .

وهكذا ظهرت طبقة وسطى قوامها الطبقة الوسطى من المواطنين ، فضلاً عن صغار ملاك الأراضى الزراعية وأصحاب الحرف الممتازة وهؤلاء دائما كانوا من الفنانين والصناع . . . هذا وقد دأب أهل الطبقة الوسطى على إرسال أولادهم فى سن مبكرة الى المدارس التابعة لمصالح الحكومة وغيرها من مدارس إعداد الموظفين لتأهيل أنفسهم لمهنة الكاتب ، والحياة التى تقتضيها ظروف وظيفته ،وكان صغار الموظفين والكتبة الذين يعملون فى الحكومة المركزية أو الادارات المحلية أو الضياع الكبيرة من أسعد أفراد الطبقة الوسطى حالات ، فهم أهل المعرفة والخبرة ، وأصحاب العلم والثقافة ، وفى تراث المصريين كثير من الأمثال الأدبية التى تحض على مهنة الكاتب ، فها هو مثال حيث يقول آخر لولده وهو يعظه

"انظر : ليست هناك طبقة غير محكومة أما الكاتب فقط فهو الذى يحكم نفسه " ويقول آخر لولدة كذلك "وطن نفسك على أن تكون كاتباً حتى تستطيع ان تدبر أمور العالم كله "

(٣) الطبقة الدنيا :

وتشمل التجار والعمال والفلاحين وأصحاب الحرف الصغيرة كالنجار والحلاق والبستانى وصانع السهام وطواف البريد والدباغ والاسكافى وغيرهم أما طبقة التجار ، فالمقصود بهم هنا أولئك الذين كانوا يعملون فى التجارة الداخلية ، والتى كانت محدودة



الملك أخناتن وزوجته يدللان أطفالهما



سنجم وزوجته يتلقيان القرابين

إلى حد كبير ، أما طبقة العمال ، فهم الذين كانوا يعملون فى المناجم والمحاجر وغيرها وفى بناء الاهرام والمقابر والمعابد و كانت الدولة هى التى تحتكر استغلال المناجم والمحاجر ، وهى التى تشرف على العمال بطريقة تضمن العناية بهم والسهر على مصلحتهم ، فكانت تجند طوائف من العمال المتخصصين تحت إشراف رؤساء العمال ومفتشين وتعمل على نقلهم تحت حماية جندها الى مقر اعمالهم فى الصحراوات المصرية وقد كان العمال يقسمون إلى فرق ثم إلى زمر وكانت كل فرقة تحمل إسماً معيناً ،وكان هناك كاتب يسجل أسماء كل فرقة ،كما يسجل عملها وتاريخ إنجازه ، هذا الى جانب مفتشين يمرون يومياً أو اسبوعياً .

أما طبقة الفلاحين : التى أريد لها ان توضع فى القاع من هرم المجتمع المصرى القديم حيث كانت نظرة المجتمع إليه على أنه إنسان بائس لا يستحق سوى الرثاء ، فهناك خطاب سجله أحد الكتاب إلى تلميذ له متحدثا فيه عن نصيب الفلاح من الحياة جاء فيه " لقد سرق الدود نصف الحبوب ،ثم أكل فرس النهر النصف الآخر ، هناك عدو لا يحصى من الفئران تسعى فوق الحقول ، كما هبطت جحافل الجراد ، أما الماشية فهى تأكل ،والعصافير تسرق ، ولكن وحسرتاه ! على الفلاح فما بقى له من حبوب على أرض الجرن قد سرقها

اللصوص ، كما نفقت ثيرانه من الدرس والحرث ، ثم وصل الكاتب بسفينته الى الشاطئ وهدفه ان يتسلم المحصول ، وقد حمل موظفوه عصيهم ، فى حين أمسك الزنوج بمقارعهم ، وكلهم يقولون له : اعطنا الحبوب ، فإذا لم تكن هناك حبوب ضربوه وقيدو ه وقدموا به الى القناة ليغرق ...

" هذه هى – يا بنى – كانت طبقات المجتمع المصرى القديم أما ماذا عن المسلات المصرية التى هى ناطحات سحاب فرعونية ، فإلى اللقاء فى العدد القادم ، إن شاء الله تعالى .

لترى البريق الحضارى الضارب بجذوره فى أعماق التاريخ المجيد التليد ، السامق الشامخ .

الحضارى
يوسف نوفل

إقرأ فى هذا العدد

★★★★★★